

# إِطْلَاق " مَا " الْمَوْصُولَةَ عَلَى الْعَالَمِ



الدكتور / عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العمار  
قسم النحو والصرف و فقه اللغة — كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## المقدمة :

الحمد لله العالم بما تخفي الصدور ، المتصرف في جميع الأمور ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ما تعاقبت الشهور والدهور ، أما بعد :

فإن مفردات اللغة لها مدلولات في أصل وضعها ، وكثرة الاستعمال تثبت ذلك وتقويه ، وقلة الاستعمال تضعفه وربما تنفيه .

ومن هذه المفردات " ما " الموصولة ، حيث وضعت في الأصل على غير العالم كالجمادات والنباتات والدواب - من غير بني آدم - فهي بذلك تدل على شيء ، وهذا الشيء مسلوب صفة العلم أو العقل ، ونصوص اللغة من قرآن ، وسنة ، ونثر العرب وشعرهم ، دالة على هذا ومبينة له .

ولكن هذا الأصل قد يتغير في بعض النصوص فتقع " ما " على من يتصف بالعلم ، وعلى من يعقل من بني آدم ، وهذا التغير لا يبطل الأصل ، ولا يخرم القاعدة ، وهو موضع خلاف بين النحويين ، وقد حاولت من خلال هذه السطور استجلاء مواقفهم ، بذكر أقوال أئمتهم وآرائهم .

وبعد انتهاء البحث عنونه بـ (إطلاق " ما " الموصولة على العالم) . أرجو أن أكون قد وفقت في بحث المسألة ، وعرض الآراء ، ومناقشتها ، والموازنة بينها ، واختيار الرأي الذي انتهيت إليه حسب ما يقتضيه الدليل والشاهد .

والله المعين وهو حسبي .

من المبهمات في العربية الموصول ، ويتبين إبهامه بالصلة ، والموصول قسمان : اسمي وحرفي ، والاسمي ضربان : خاص ومشترك ، والمشارك ستة أسماء هي : " مَنْ " و " ما " و " أل " و " أي " و " ذو " و " ذا " ، وحديثي مقصور على " ما " من جهة دلالتها ، فالمشهور عند أهل اللغة أنها لغير العاقل وقد تكون له وللعاقل بقرائن ومسوغات - كما سيأتي - .

وهنا سؤال مفاده هل تقع " ما " على من يعلم ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال تجدر مناقشة نص حديثي جاء فيه ما يشعر بعدم ذلك .

قال الآمدي (ت ٤٦٧هـ) عندما ذكر شبه أصحاب العموم النصية : " أما النصية فمنها ... ومنها أنه لما أنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [ الأنبياء / ٩٨ ] قال ابن الزبيري (ت نحو ١٥٥هـ) : " لأخصمناً محمداً " ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : " وقد عُبِدت الملائكة والمسيح ، أفتراهم يدخلون النار؟ " .

واستدل بعموم " ما " ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، بل نزل قوله تعالى غير منكر لقوله ، بل مخصصاً له بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [ الأنبياء / ١٠١ ] " (١) .

ثم أجاب الآمدي عن هذه الشبهة بقوله :

" وأما قصة ابن الزبيري فلا حجة فيها - أيضاً - ؛ لأن سؤاله وقع فاسداً حيث ظن أن " ما " عامة فيمن يعقل ، وليس كذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله

(١) الإحكام ٢ / ١٨٦ .

عليه وسلم منكراً عليه: " ما أجهلك بلغة قومك، أما علمت أن "ما" لما لا يعقل" (١).

وقصة ابن الزبيرى ذكرها الطبراني (٢) (ت ٣٦٠هـ) والهيثمي (٣) (ت ٨٠٧هـ) ، كما أوردها بعض المفسرين كالطبري (٤) (ت ٣١٠هـ) والبخاري (٥) (ت ٥١٦هـ) .

والبخاري (٦) (ت ٥٣٨هـ) وابن كثير (٧) (ت ٧٧٤هـ) والشوكاني (٨) (ت ١٢٥٠هـ) والواحدي (ت ٤٦٨هـ) في أسباب التزول (٩) ، ولم يرد فيما ذكره جميعاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما أجهلك بلغة قومك...".

وقد نبه على عدم صحة هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) - رحمه الله - فقال: " اشتهر في ألسنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه القصة لابن الزبيرى : ما أجهلك بلغة قومك ، فإني قلت: " وما تعبدون " وهي لما لا يعقل ، ولم أقل : ومن تعبدون اهـ .

(١) المرجع نفسه ١٩٦/٢ وينظر ٣٤/٣ وحاشية الصبان على شرح الأشموني ١٥٣/١ حيث قال

الصبان: " هذا إن صح كان نصاً في المسألة".

(٢) المعجم الكبير ١٢/١١٨ و ١١٩ برقم ١٢٧٣٩.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٦٨ و ٦٩.

(٤) جامع البيان ١٦/٤١٧ و ٤١٨.

(٥) معالم التزيل ٥/٣٥٦ و ٣٥٧.

(٦) الكشف ٣/١٣٥ و ١٣٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩٩ و ٦٠٠.

(٨) فتح القدير ٣/٤٣١.

(٩) ص ١٧٥.

وهو شيء لا أصل له ، ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند " (١) .  
وإذا تبين لنا عدم صحة هذه الرواية من عالم نذر نفسه لخدمة سنة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فيجدر بنا قبول ذلك ، والبحث عن دلالة " ما " عند  
أهل اللغة .

فأقول - وبالله التوفيق- قال سيويه ( ت ١٨٨هـ ) : ( وما مثلها - أي  
مثل مَنْ - إلا أن " ما " مبهمة تقع على كل شيء " (٢) .

وأما المبرد ( ت ٢٨٥هـ ) فكرر الحديث عنها في مقتضبه (٣) وبين أنها تقع  
على ذات غير الآدميين كالفرس والحمار والمال والبر ، وعلى صفات الآدميين  
كالشرف والوضاعة والطول والقصر .

كما بين أنها قد تقع على الآدميين بشرط كون الحديث عن الجنس كالرجل  
أو تجعل الصفة في موضع الموصوف كأن تقول : رأيت ما عندك ؟  
فيقال : رجل أو عاقل أو حليم ، ولا يقال : زيد ولا عمرو لعمومها  
وإبهامها.

وبين الفراء (٤) ( ت ٢٠٧هـ ) أن العرب لا تكاد تجعل " ما " للناس ، وعليه  
فتقول : إنما ضربت أخاك بالنصب ، ولا تقل : " أخوك " بالرفع ؛ لئلا يكون  
المعنى : إن الذي ضربت أخوك ، فتقع " ما " على الأخ ، فإذا أريد بالكلام  
الذي بعد " ما " وصلتها غير الناس جاز الوجهان فتقول : إنما سكنت دارك ،  
بالنصب أو " دارك " بالرفع.

(١) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٦/٣ .

(٢) الكتاب ٣٠٩/٢ .

(٣) المقتضب ٤٨ و ٤١/١ ، ٢٩٦ و ٥٢/٢ ، ٦٣/٣ ، ١٨٥ و ٢١٧ و ٢١٨ .

(٤) معاني القرآن ١٠٢/١ وانظر معاني القرآن للأخفش ٢١٤/١ و ٢١٥ .

إلا أن الفراء استدرك فقال: " وقد تجعل العرب " ما " في بعض الكلام للناس، وليس بالكثير ، وفي قراءة عبد الله ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ وَالذِّكْرُ وَالْأُنثَىٰ﴾<sup>(١)</sup> [الليل/ ٣٥٢] وفي قراءتنا ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ فمن جعل " ماخلق " للذكر والأنثى جاز أن يخفض " الذكر والأنثى " كأنه قال : والذي خلق الذكر والأنثى<sup>(٢)</sup>، ومن نصب " الذكر " جعل " ما " و " خلق " كقوله : وَخَلَقَهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ، يوقع " خلق " عليه ، والخفض فيه على قراءة عبد الله حسنٌ ، والنصب أكثر " (٣).

وأشار الأخفش (ت ٢١٥هـ) إلى أن " ما " لغير العاقل<sup>(٤)</sup>، إلا أنه أوقعها على الإنسان فقال في قوله تعالى : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ [التين/ ٧]: " جعل " ما " للإنسان وفي هذا القول يجوز : ما جاءني زيدٌ ، في معنى : الذي جاءني زيد " (٥).

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) : " وزعم الفراء والأخفش أن المعنى : فمن يكذبك بعد بالدين ، قال أبو جعفر : وهذا لا يعرج عليه ، ولا تقع " ما " بمعنى " مَنْ " إلا في شذوذ " (٦).

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) : " ما " لغير العاقل تقول : ... و ما مرَّ بك من الإبل " (٧).

(١) ينظر المحاسب ٢ / ٣٦٤.

(٢) أي على البدلية من محل " ما " .

(٣) معاني القرآن ١٠٢/٢ وانظر ص ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٧٠ / ٣.

(٤) معاني القرآن ٣٧/١ و ٥٩ و ٤١٦ / ٢.

(٥) معاني القرآن ٥٨١/٢.

(٦) إعراب القرآن ٧٣٦/٣ وينظر معاني القرآن للفراء ٢٧٧ / ٣.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٣.

وممن فسر " ما " بـ " مَن " أو بـ " الذي " وهي للعالم أبو عبيدة<sup>(١)</sup> (ت ٢١٠هـ) ومكي<sup>(٢)</sup> (ت ٤٣٧هـ) وابن خروف (ت ٦٠٩هـ) الذي نص على أنها عند سيويه والمحققين بـمترلة " الذي " و " التي " تقع على ما لا يعقل ، ومن يعقل ووافقهم على ذلك ، مما حدا بأبي حيان إلى القول " وإطلاقها على آحاد من يعقل هو مذهب أبي عبيدة وابن درستوية (ت ٣٤٧هـ) ومكي بن أبي طالب ، ومن متأخري أصحابنا الأستاذ أبو الحسن بن خروف ، وزعم أنه مذهب سيويه<sup>(٣)</sup> .

وابن خروف عزا ذلك إلى سيويه ؛ لأن عبارة سيويه عامة تقبل فهم ابن خروف فهو يقول : " ما " مبهمة تقع على كل شيء " .

واستدل من يرى وقوع " ما " الموصولة على العالم بعدة أدلة من القرآن الكريم وغيره ، وقد تكفل الشيخ محمد عبد الخالق عضية<sup>(٤)</sup> بجمع الآيات القرآنية التي وقعت فيها " ما " على العالم فأرابت على ستين آية ، وسأذكر نماذج من تلك الآيات والشواهد يتيين من خلالها موقف القائلين بإمكان وقوع " ما " على العالم .

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْنَاهَا ۖ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَاهَا ۖ وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّيْنَاهَا ۖ [ الشمس / ٥ - ٧ ] .

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠ و ٣٠١ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٨ و ٥٠٦ .

(٣) التذليل والتكميل ٣/ ١٢٩ .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ ج ٣ ص ٤٣-٥٠ ، هذا وقد أفرد الشيخ لـ " ما " المحتملة للمصدرية ولاسم الموصول مبحثاً خاصاً ص ٥١-٥٦ .



و قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [ الليل / ٣ ] .

و قال تعالى: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [ الكافرون / ٥٣ ] .

وقال تعالى: ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [ الزمر / ٨ ] .

فـ " ما " في هذه الآيات الست واقعة على " الله " ؛ لأنه هو الذي بنى السماء ، وطحا الأرض ، وسوى النفس ، وخلق الذكر والأنثى ، وصرف إليه الرسول صلى الله عليه وسلم عبادته ، ودعاه الإنسان عند الضر .

وقال تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ [ ص / ٧٥ ] فـ

" ما " أطلقت على نبي الله آدم - عليه السلام ، وقال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

" ما " ما كنت أعبد غيرك ، [ آل عمران / ٣٥ ] .

قال تعالى: ﴿ فَأَنكِحُوا الْأَنْثَىٰ مِنْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ

[ النساء / ٣ ] .

و قال تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [ المؤمنون / ٦ ]

والمعارج / ٣٠ ] .

و قال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ﴿٦٧﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ

رَبِّكُمْ مِنَ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ [ الشعراء / ١٦٥ و ١٦٦ ] .

فـ " ما " في الآيات الأربع أطلقت على الأنثى من بني آدم وحكى أبو زيد

(ت ٢١٤ هـ) " سبحان ما سبح الرعد بحمده وسبحان ما سخركن لنا <sup>(١)</sup> " .

والمعنى : من سبح الرعد بحمده ومن سخركن لنا ، وهو الله جلّ وعلا .

(١) ينظر المقتضب ٢ / ٢٩٦ وشرح المفصل لابن يعين ٤ / ٦٥٥ .

هكذا يرى القائلون بإطلاق " ما " على العالم ومنهم الفراء وأبو عبيدة والأخفش وابن درستويه وابن خروف الذي نسب هذا القول إلى المحققين ومنهم سيويه .

إلا أن المانعين تأولوا تلك النصوص بتأويلات مختلفة يخرج منها القارئ بالشروط التي أجازوا بها وقوع " ما " على العالم وربما حملوا " ما " على المصدرية وهو الأكثر .

فآيات " الشمس " حملت على المصدرية على تقدير : والسماء وبنائها ، والأرض وطحوها ، والنفس وتسويتها ، فراراً من إيقاع " ما " على العالم ، بل إن المبرد قال : إن هذه مصادر وإن دلت على غيرها ممن يملك ، وألح إلى أن هذا الوجه هو الذي عليه النحويون دون الأول<sup>(١)</sup> .

وفي آية " الليل " قيل كذلك<sup>(٢)</sup> . أم : وخلقها ، وكذا الأمر في آية " الكافرون " أي : عبادتي<sup>(٣)</sup> ، وقيل : من قبيل المشاكلة<sup>(٤)</sup> أو لجهلهم بالله أو لمخالفتهم رسول الله<sup>(٥)</sup> .

وكذا في آية الزمر إذ قدروا : نسي دعاءه إلى الله من قبل<sup>(٦)</sup> ، وفي آية " ص " رأى السهيلي (ت ٥٨١هـ) أن الموضع لـ " ما " لـ " من " للدلالة على أن تكبير إبليس وعدم سجوده لمخلوق مثله غير مقبول ، إذ التكبير للمخلوق وحده ، فوبخه الله وبكته بسبب عصيانه وتكبره على ما لم يخلقه وإنما تولى خلقه

(١) المقتضب ٥٢/٢ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١٠٢/١ .

(٣) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١٧٤/١ .

(٤) ينظر نتائج الفكر ص ١٨٤ والتذيل والتكميل ١٣١/٣ .

(٥) ينظر نتائج الفكر ص ١٨٣ .

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٤١٦/٢ .

رب العالمين ، لذا شُرِفَ وأمرتُ الملائكة بالسجود له، فسجدتُ وعصى إبليس ولو قيل : " لمن خلقت " لكان استفهاماً مجرداً من التوبيخ والتبكيث ، ولتوهم أن الأمر بالسجود لآدم بسبب كونه عاقلاً أو لعله في ذاته وعينه ، وليس الأمر كذلك<sup>(١)</sup>.

أو تحمل على المصدرية والمعنى : ما منعك أن تسجد لخالقي ، أي : لمخلوقي<sup>(٢)</sup>.

وآيه " آل عمران " حملت على الإيهام فما في بطن مريم - عليها السلام - غير معلوم أذكر أم أنثى<sup>(٣)</sup> ؟  
وآيات " النساء " و " المؤمنون " و " الشعراء " حملت على أنواع من يعقل<sup>(٤)</sup>.

وحكاية أبي زيد حملت فيها " ما " على المصدرية الظرفية والمعنى : سبحانه الله مدة تسبيح الرعد ومدة تسخير كرن<sup>(٥)</sup> .  
مما تقدم يتبين أن بعض المانعين لا يمنعون مطلقاً ، وإنما لهم شروط ومعايير إذا وجدت فـ " ما " عندهم تقع على العالم ، لكن لا يقصد إلى ذلك قصداً ، فإن جاء ما ظاهره ذلك حملت " ما " على المصدرية أو على محمل آخر يلحظ من المقام أو من السياق والقرائن.

(١) نتائج الفكر ص ١٨٢ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١٠٢/١ .

(٣) ينظر تعليق الفرائد للدماميني ٢٥٤/٢ .

(٤) ينظر التذييل والتكميل لأبي حيان ١٣٣/٣ وأوضح المسالك ١٥٠/١ وشرح الجمل لابن عصفور

١٧٣/١ .

(٥) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١٧٤/١ والتذييل والتكميل ١٣٠/٣ .

وقد سبق ذكر شرطي المبرد لوقوع " ما " على العاقل وهما : إرادة الجنس ،  
أو قيام الصفة مقام الموصوف.

وابن مالك(ت٦٧٢هـ) يقول : " و " ما " في الغالب لما لا يعقل وله مع من  
يعقل ولصفات من يعقل وللمبهم أمره<sup>(١)</sup> .

وأبو حيان(ت٧٤٥هـ) يقول : " والذي صححه أصحابنا أن " ما " لا تقع  
على آحاد أولي العلم إلا في موضعين : أحدهما : الاستثبات عنمن يفعل والآخر  
: الاستفهام عن صفات من يعقل<sup>(٢)</sup> " وفي موضع آخر يقول: " وأبي أصحابنا  
ذلك وتأولوا ما استدل به المخالف<sup>(٣)</sup> " .

وقد أخذ أبو حيان<sup>(٤)</sup> على ابن مالك قوله : ولصفات من يعقل ، وقال: إنها  
عبارة الفارسي<sup>(٥)</sup> (ت٣٧٧هـ) ، أما أصحاب أبي حيان فعبروا عن ذلك بأنواع  
من يعقل والغريب أن أبا حيان استعمل صفات من يعقل في الموضع الثاني من  
النص السابق .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

وأصحاب أبي حيان هم البصريون كسيبويه والمبرد ومن سار على نهجهم  
كالزجاج(ت٣١٠هـ) وابن السراج(ت٣١٦هـ) والزجاجي(ت٣٣٧هـ)  
والفارسي وابن جنبي(ت٣٩٢هـ) وغيرهم ، وكأني بأبي حيان يرمي إلى  
المذهب البصري لا إلى كل بصري بعينه ؛ لأن البصريين ليسوا على درجة

(١) التسهيل ص ٣٦ .

(٢) التذليل والتكميل ١٣٢/٣ .

(٣) المرجع السابق ١٢٩/٣ .

(٤) المرجع السابق ١٣٣/٣ .

(٥) ينظر البغداديات ص ٢٦٣ .

واحدة في هذه المسألة ، فسيبويه فهم ابن خروف من نصه أنه يرى وقوع "ما" على آحاد أولي العلم ، والزجاج حمل آيات سورة الشمس وآية سورة الليل على المصدرية وبدأ به ثم قال : وقيل : "معنى " ما " هاهنا معنى " مَنْ " المعنى : والسماء والذي بناها ... فأقسم الله - عز وجل - بهذه الأشياء العظام من خلقه ، لأنها تدل على أنه واحد ، والذي ليس كمثلته شيء" (١) .

فالزجاج لم يعترض على الموصولية وإنما أورد ذلك نصيغة التمريض "وقبل" . وابن السراج (٢) يتابع المبرد وينقل كلامه .

والزجاجي يقول : "فأما " ما " فإنها تقع على ما لا يعقل" (٣) .

والفارسي (٤) يحمل " ما " على " مَنْ " ويبدأ به ثم يقول : ويجوز أن تكون بمعنى المصدر ، ويتابع المبرد وابن السراج .

وابن جني يترع مترعاً غريباً ، ويرتكب شططاً ، إذ رأى أن المونث إذا قيس بالمذكر تنحط درجته ، فالمرأة بالنسبة إلى الرجل مال أو متاع .

وإليك نص كلامه قال : " قوله عز اسمه : ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ ﴾ [ المؤمنون / ٦ / المعارج / ٣٠ ] وقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ ﴾ [ الشعراء / ١٦٥ و١٦٦ ] ونحو

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢/٥ .

(٢) ينظر الأصول ١٣٥/٢ و١٣٦ .

(٣) الجمل ص ١٢ وينظر شرح الجمل لابن خروف ٢٩١/١ .

(٤) ينظر البغداديات ص ٢٦٥ .

ذلك ، يجوز أن يكون إنما وقعت " ما " هاهنا على من يعقل من حيث كان مؤثراً ، وليست للمؤنث عصمة المذكر ، فكأن المرأة لتأنيثها - بالأضافة إلى الرجل بتذكيره - مال أو متاع ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢٢٣] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم " المرأة ضلع عوجاء" (١) وهذا وإن كان مثلاً فقد أُشِمَّ رائحةً مما نحن عليه ؛ لأنه عفي عنها كما يعفى عن البهائم ، وكذا قولهم : " المرأة لحم على وصم" (٢) وهذا ونحوه مما يكاد يخرج به المؤنث عن تمام العقل واستحكامه ، ولم يذكره أحد من أصحابنا ، وفيه ما تراه من صحة معناه" (٣).

انتهى كلام ابن جني ، وكأني به يشير - أيضاً - إلى مثل قوله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء/ ٣٤].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" (٤).

(١) يشير إلى حديث " إن المرأة خلقت من ضلع... " ينظر صحيح مسلم كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء ٦١-٦٢ ص ٥٥٥.

(٢) الوَضَم ، محرّكة : الخشب أو الحصير وكل ما يوضع عليه اللحم دون الأرض ، وجاء في اللسان " وضَم :- ( وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : " إنما النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه " ) ، ومنه أخذ المثل : إن النساء لحم على وضم .

ينظر مجمع الأمثال للميداني ١٩/١ .

(٣) الخاطريات ص ٥١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب ١٧ ص ٥٥٥ رقم ٥٩ ( ١٤٦٧ ) .

وقوله : " ... وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلبَ لدي لُبِّ منكن ... " (١) .

وهذه النصوص وإن كان فيها رفعة للرجل فلا يؤخذ منها دونية المرأة إلى حد المتاع الساقط ، والمال المتبدل في أيدي الرجال ؛ لأن الإسلام كرم المرأة وأعلى شأنها ، بعد أن كانت في الجاهلية معدودة من سقط المتاع ، وعليه فهذه النصوص وأمثالها لا تخرج المرأة من دائرة العقلاء ، أو تحط من قدرها ، فللرجل حصانته ، وللمرأة حصانيتها . فإن ضعفت في جانب قوت في آخر ، "والنساء شقائق الرجال" (٢) .

والحمد لله أن أحداً من أصحابه قبله لم يذكره ؛ لأن ما ذكره نكتة غير محمودة .

وقد تأسى الزمخشري بابن جني فقال: " ما طاب " ما حلّ ... وقيل " ما " ذهاباً إلى الصفة ؛ ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء/ ٣] (٣) .

ولم يرتض أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) هذا فقال: " ما " موصولة أو موصوفة ما بعدها صلتها أو صفتها أو ثرت على " من " ذهاباً إلى الوصف وإيذاناً بأنه .

المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لإحلاله بمقام الترغيب فيهن ، وقرأ ابن أبي عبله " من طاب " (٤) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ٣٤ رقم ١٣٢ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة باب في الرجل يجد البلة في منامه ٦١/١ ومسند الإمام أحمد الحديث رقم

٢٦٧٢٥ ص ١٩٤٧ .

(٣) الكشف ١/ ٤٦٧ .

(٤) إرشاد العقل السليم ١/ ٦٤٣ .

وقراءة ابن أبي عبلة و إن كانت شاذة مرجح لإرادة " مَنْ " وصحة وقوع  
" ما " على العالم .

وأبو جعفر النحاس<sup>(١)</sup> يرى أن " ما " لا تقع بمعنى : " مَنْ " إلا في شذوذ ،  
ووجه ما رأى أنه مخالف لذلك فقال في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ

مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [ النساء / ٣ ] يقال : كيف جاءت " ما " للآدميين؟

ففي هذا جوابان : قال الفراء<sup>(٢)</sup> : " ما " هاهنا مصدرية وهذا بعيد جداً ، لا  
يصح فانكحوا الطيبة ، وقال البصريون : " ما " تقع للنعوت ، كما تقع " ما "  
لما لا يعقل ، يقال : ما عندك؟

فيقال : ظريف وكريم ، فالمعنى فانكحوا الطيب من النساء ، أي : الحلال ،  
وما حرمه الله فليس بطيب<sup>(٣)</sup> .

وقال في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [ آل  
عمران / ٣٥ ] .

" منصوب على الحال ، وقيل : هو نعت لمفعول محذوف ، أي : نذرت لك  
ما في بطني غلاماً محرراً " .

ففي آية " النساء " استبعد حمل " ما " على المصدرية ، وكأنه ارتضى قول  
البصريين بإطلاق " ما " على صفات من يعقل .

وفي آية " آل عمران " رجح الحالية ، وذكر النعت وقدر المنعوت ، وهو  
" غلام " والغلام من العقلاء .

(١) إعراب القرآن ٣/٧٣٦ .

(٢) ينظر معاني القرآن ١/٢٥٣ و ٢٥٤ .

(٣) إعراب القرآن ١/٣٩٣ .



والتأمل في آية آل عمران يتبين له وقوعها على العاقل ذكراً كان أو أنثى فما في البطن لن يخرج عن هذين النوعين ، والحمل على الإبهام كما أوماً إليه الدماميني (ت ٨٢٧هـ) بقوله : " المراد أنها جعلت ما في بطنها وثمره فؤادها نحادماً للمسجد ، ولم تقصد إذ ذاك ذكوره من أنوثته " (١) ضرب من التأويل لا يمنع الحمل على الظاهر، كيف والله يقول : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

وَضَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ۗ ﴾ | آل عمران / ٣٦؟

ولو قال قائل : إن ما في البطن لا يُدرك فهو داخل في عداد غير العقلاء ، لقليل له : أنت مدع ومطالب بالدليل ، ولا أحد من العقلاء يقول بهذا ، فالصغير غير المميز لا يكلف ، لكن لا يخرج من دائرة العقلاء ، وهو من بني آدم الذين كرمهم الله بالعقل كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ۙ ﴾ [الإسراء / ٧٠].

قال ابن كثير : " يخبر تعالى عن تشریفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ... وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به " (٢).

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

والسهيلي هداه فكره إلى ملاحظ بلاغية صرف بها " ما " عن العالم في بعض النصوص التي استشهد بها المميزون فقال : " فإن قيل : أليس قد وقعت على ما يعقل في مواضع من القرآن وكلام العرب خلافاً لما نصَّ عليه النحويين كقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۗ ﴾ [ص / ٧٥] وكقوله سبحانه

: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ۗ ﴾ [الشمس / ٥] وكقوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ ﴾

[الكافرون / ٥٣] قلنا : هي في كل هذا على أصلها من الإبهام والوقوع على الجنس العام ، لم يُرد بها ما يُراد بـ " مَنْ " من التعيين لما يعقل والاختصاص به

(١) تعليق الفرائد ٢/٢٥٤ وتنظر حاشية على التصريح ١/١٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٢٨.

دون غيره ، ومن فهم جوهر الكلام عرف ما نقوله ، واستبان له من الحق سبيله " (١) .

ثم شرع في الحديث عن الآيات الثلاث ، وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره في آية ص .

أما آية الشمس فقال عنها : " لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث بنى وأظهر هذا الخلق العظيم الذي هو السماء ، ومن حيث سواها بقدرته وزينها بحكمته ، فاستحق التعظيم وثبتت له القدرة كائناً ما كان هذا المعظم ، فلو قال : " مَنْ بناها " لم يكن في اللفظ دليل على استحقاقه للقسم به من حيث اقتدر على بنائها وكان المعنى مقصوراً على ذاته ونفسه دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته المنبئة عن حكمته ، المفصحة لاستحقاقه التعظيم من خليقته " (٢) .

بل إنه وصف القائلين بأن " ما " مصدرية بالجهالة ، وعدم التوفيق لصناعة النحو ، وعدم الرزق لفهم التأويل (٣) .

وذكر في آية " الكافرون " ثلاثة أوجه إثبات أن " ما " على باهما (٤)

الأول : جهلهم بمعبود الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كانوا يظنون أنهم يعبدون الله .

الثاني : اشتهاؤهم مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم حسداً له وأنفة من اتباعه ، فهم لا يكرهون ذات المعبود وإنما يكرهون اتباع الرسول وإن كان معبوده هو الحق سبحانه .

كتاب تجارة ومركز اطلاق رسانی  
فیاد وایرة المعارف اسلامی

(١) نتائج الفكر ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٣ ، وسبق أن المرید يقول : حمل " ما " على المصدرية هو الذي عليه النحويون المقتضب ٥٢/٢ .

(٤) نتائج الفكر ص ١٨٣ و ١٨٤ .

الثالث : أن هذا النص محمول على ازدواج الكلام ومقصود فيه المشاكلة ،  
فاستوى اللفظان وإن اختلف المعنيان .

وحرص السهيلي على المعاني التي جادت بها قريحته وربط بينها وبين لفظ  
" ما " فقال : " ما " اسم مبهم في غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شيء<sup>(١)</sup>  
وتقع على ما ليس بشيء ؛ ألا ترى أنك تقول : إن الله عالم بما كان وما لم  
يكن ، وما لم يكن معلوم ، والمعلوم ليس بشيء ، فافطر إبهامها لم يجر  
الإخبار عنها حتى توصل بما يوضحها ... ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على  
جنس تتنوع منه أنواع ؛ لأنها لا تخلو من الإبهام أبداً ولذلك كان في لفظها  
ألف آخرة ، لما في الألف من المد والاتساع في هواء الفم ، مشاكلة لاتساع  
معناها في الأجناس ، فإذا أوقعوها على نوع بعينه ، وخصوا ما يعقل وقصروها  
عليه أبدلوا الألف نوناً ساكنة فذهب امتداد الصوت ، وصار قصراً للفظ موازناً  
لقصر المعنى<sup>(٢)</sup> .

ولي مع كلام السهيلي السابق وقفات :

الوقفة الأولى : وصفة القائلين بأن " ما " مصدرية في الآيات التي أوردتها  
بالجهل ، وعدم الفهم ، وعدم التوفيق لصناعة النحو .  
وهذا وصف لا مسوغ له ، وغير مقبول ؛ لأن الرأي لا يخطأ برأي آخر ،  
والقائلون بأن " ما " مصدرية علماء لهم مكانتهم ، ومنهم من هو متقدم على  
السهيلي ، والحق أن الفضل للمتقدم .

وكان الأجدد بالسهيلي أن يبتعد عن مثل هذه الكلمات الجافية والنايبة في  
حق إخوانه من العلماء ، وكان في غنى عن ذلك لو وصف الرأي المخالف  
بالبعد مثلاً .

(١) هذا قول سيبويه ينظر الكتاب ٣٠٩/٢ .

(٢) نتائج الفكر ص ١٨٠ و١٨١ .

الوقفة الثانية : قوله : إن الألف في " ما " فيها مد واتساع في هواء الفم  
مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس ... إلخ .

وهذا اجتهاد منه ، وقال بمثل هذا في " لن " و " لا " فرأى أن " لا " لام  
بعدها ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضيق النفس فأذن امتداد لفظها  
بامتداد معناها، و " لن " بعكس ذلك <sup>(١)</sup> .

وأقول : الضميران " أنا " و " نحن " الثاني منهما أعم من الأول مع أن  
الأول فيه ألف يمتد بها الصوت عند الوقف وفي الضرورة ، وفي لغة من يثبتها  
وصلاً ووقفاً <sup>(٢)</sup> ، فالقاعدة - كما يظهر - غير مطردة.

الوقفة الثالثة : قوله : ولفرط إهمامها لم يجز الإخبار عنها حتى توصل بما  
يوضحها ... إلخ .

هذا اعتراف منه بأن تفسيرها كامن في صلتها ، والصلة قد تكون لغير العالم  
وقد تكون للعالم - كما مر في النصوص السابقة .

الوقفة الرابعة : قوله : ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على جنس تتنوع منه  
أنواع ... إلخ .

هذا قول فيه نظر من جهة إطلاقه وعمومه ، فمن النصوص السابقة ما  
جاءت فيه " ما " على غير ما ذكر السهيلي ، وإن كان سيئاً ولها وفق مراده ،  
أقصد آيتي

" الكافرون " وآية " آل عمران " وآية " ص " مثلاً .

الوقفة الخامسة : لقد نظر السهيلي إلى مبدأ التعظيم عند تفسيره لقوله تعالى

(١) نتائج الفكر ص ١٣١ .

(٢) ينظر : الكتاب ٢/٢٧٩ وسر الصناعة ٢/٧٢١ وارتشاف الضرب ٣/٢٧٢ و٢٧٣ .

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ وأن الصنعة العظيمة تدل على صانع عظيم ، وهذا كلام جيد لا مرأى فيه ، ولكنه ليس بلازم على كل حال ، وما المانع من توجيه التعظيم إلى الصانع مباشرة في بعض المواطن؟!  
 الوقفة السادسة : قوله : إن الموضع لـ " ما " لـ " مَنْ " في قوله تعالى  
 ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ ﴾ للدلالة على عدم قبول تكبير

إبليس ... الخ.

لا شك أن المقام مقام إنكار وتوبيخ لإبليس اللعين ، ولكن لماذا ينصرف المعنى إلى هذا وحده ؟ وقد قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [ طه / ١١٦ و ١١٧ ].

فذكر آدم - عليه السلام - مرتين ، وأخبر أنه عدو له ولزوجه "حواء" وأظهر المقصود بـ " ما " وهو " آدم " - عليه السلام - والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

الوقفة السابعة : إصراره على التماس معنى يخرج " ما " من وقوعها على العالم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فالجهل بالمعبود ، واشتهاء مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وازدواج الكلام ، ثلاثة أوجه ارتضاها السهيلي ، والذي أراه أن قوله في الوجه الثالث " فاستوى اللفظان - " ما " تعبدون " ، " ما أعبد " - وإن اختلف المعنيان " دليل على أن الجهل بالمعبود ، واشتهاء مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم معنيان من المعاني الواردة في تفسير " ما " وليس القول القاطع في ذلك بدليل أن السهيلي لجأ إلى ازدواج الكلام

وطلب المشاكلة ، ووصف من يحمل " ما " على المصدرية بالجهل ، ولو أنه حمل الآية على ظاهرها - إذ لا مانع - لكان قولاً متجهاً .

قال ابن كثير : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وهو الله وحده لا شرك له ،

فما هاهنا بمعنى " مَنْ " ثم قال : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي : ولا أعبد عبادتكم ، أي : لا أسلكها ولا أقتدي بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه <sup>(١)</sup> .

وبعرض ما تقدم يمكن الخروج بالتصور الآتي :

١- أصل وضع " ما " على الإبهام ، لذا قال سيبويه : " ما مبهمة تقع على

كل شيء ، وعبارته هذه فيها عموم جعل أكثر من جاء بعده يحملها

على أن " ما " لا تقع إلا على غير العالم ، وجعل بعضهم كابن خروف

يرى أن سيبويه يرى وقوع " ما " على العالم .

٢- من النحويين من يرى عدم وقوع " ما " على العالم ، وإذا جاء من

ذلك شيء التمس له مخرجاً وهم الفئة الكثيرة ، ويليه من يميز وقوعها

على العالم بالتأويل .

٣- من النحويين من يرى جواز وقوع " ما " على العالم ، وأنها بمعنى " مَنْ "

من غير تأويل وهم الفئة القليلة .

٤- من النحويين من رأى أن حمل " ما " على " مَنْ " شاذ ، وهو أبو

جعفر النحاس .

٥- من النحويين من ذهب به التأويل إلى إخراج الإناث من بني آدم من

دائرة العقلاء وهو ابن جني وتابعه الزمخشري ، وأرى أن هذا بدع من

القول ، وإجحاف في حق شقائق الرجال .

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٩٢/٧ .

٦- من النحويين من وَسَمَ من يحمل " ما " على المصدرية في بعض النصوص بالجهل وعدم التوفيق ، وهو السهيلي ، وقوله هذا غير مرغوب فيه .

كما أنه أتعب نفسه من أجل الظفر بتأويل يحمل عليه ما وقعت فيه " ما " على العالم ، وأرى أن هذا من قبيل المبالغة في التأويل ، كما أنه ربط بين ايفظ " ما " ومعناها وأرى أن ما ذكره غير مطرد .

٧- أن تأويل جميع النصوص القرآنية التي استشهد بها وإن كان مقبولاً إلا أنه ليس ملزماً .

٨- أن احترام الآراء مطلب عزيز ، وآراء العلماء لا تنكر إذا خالفت آراء أخرى ، فكلٌ مجتهد ، ولكل مجتهد نصيب .

٩- أن ما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : (" ما " لما لا يعقل) غير صحيح ، كما أبان ذلك ابن حجر .

١٠- أن الإصرار على أن " ما " إنما وضعت لغير العالم هو الذي أُلجأ الكثير من النحويين إلى التأويل والمبالغة فيه .

١١- أن استعمال " العالم " أولى من " العاقل " لاستعمالها فيما يعود على الباري جلّ وعلا .

١٢- أن المرجع في فهم القضية هو الكلام العربي ، وما قرره العلماء الأفاضل ، وما ينضم إلى ذلك من قرائن لفظية ومعنوية ، ودلالات حال .

وبناء على هذا جاء تأويل معظم النحويين للنصوص التي وقعت فيها " ما " على العالم ، فأدخلوها ضمن أنواع من يعقل ، أو صفات من يعقل ، أو اجتماع العاقل مع غيره ، أو تزييل العاقل منزلة غير العاقل ، أو إرادة الجنس ، أو قصد

المشكلة ، أو الإبهام ، و هذا كله فراراً من القول بأن " ما " يمكن أن تقع على العالم .

والذي أنتهي إليه في هذه القضية هو ما صرح به ابن مالك والرضي (ت ٦٨٦هـ) و البعلي (ت ٧٠٩هـ) وغيرهم .

قال ابن مالك : " و " ما " في الغالب لما لا يعقل ، واحتزرت بقولي " في الغالب " من نحو قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ ومن قول العرب : " سبحان ما سخركن لنا " ومجيئها لما لا يعقل كثير <sup>(١)</sup> .

فابن مالك يرى أن هناك نصوصاً اتضح فيها حمل " ما " على العالم ، واستبعد جانب التأويل فيها .

وقال الرضي : " و " ما " في الغالب لما لا يعقل ، وقد جاء في العالم قليلاً " <sup>(٢)</sup> .

وقال محمد البعلي : " وأما " ما " فأكثر إطلاقها على غير من يعقل وقد تطلق على من يعقل " <sup>(٣)</sup> .

ومن النصوص الواضحة في هذا إضافة إلى ما ذكر ابن مالك قوله تعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الشعراء / ٢٣ ] وقوله ﴿ وَلَا أَنْتُمْ

عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [ الكافرون / ٥٣ ] .

وهذا هو الرأي المعتدل وإن أباه المخالفون وتأولوا النصوص بما يسائر آراءهم .

(١) شرح التسهيل ٢١٧/١ وينظر شرح الكافية الشافية ٢٧٦/١ .

(٢) شرح الكافية ٥٥/٣ .

(٣) الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ٧٧٩/٢ .



لذ نرى الآمدي يقول : " وهي وإن أطلقت على من يعقل كما في قوله :

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَنَاهَا ﴿۱﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ﴿۲﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿۳﴾

[الشمس ٥-٧] .

فليس حقيقة بل مجازاً ، ويجب القول بذلك جمعاً بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم : " أما علمت أن " ما " لما لا يعقل " ، ولما فيه من موافقة المنقول عن أهل اللغة في ذلك " (١) .

ويتراجع قليلاً عن هذا ويبين أن الغاية مما ذكر من النصوص " جواز إطلاق " ما " على من يعقل ويعلم ، ولا يلزم من ذلك أن تكون ظاهرة فيه ، بل هي ظاهرة فيمن لا يعقل ، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبير لما ذكر ما ذكر راداً عليه بقوله : " ما أجهلك بلغة قومك أما علمت أن " ما " لما لا يعقل و " من " لمن يعقل " ولا يخفى أن الجمع بين الأمرين والتوفيق بين الأدلة أولى من تعطيل قول النبي صلى الله عليه وسلم " (٢) .

وقد سبق بيان عدم صحة الحديث الذي يعول عليه الآمدي ، وإذا لم يكن الحديث صحيحاً فلا إشكال ، ولا تعارض ، ولا تعطيل .

ونرى ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) يستبعد وقوع " ما " على آحاد من يعقل من المذكورين والمؤنثات في النصوص التي يوردها المجيزون فيقول : " وهذا كله لا حجة فيه لاحتمال أن تكون " ما " مصدرية " (٣) .

ثم يسوق اعتراضاً فيقول : " فإن قيل : إن حمل هذه الآيات على ما ذكرت لا يجوز لأن في " طحا " و " بنى " و " سوى " مضمرة فاعلها ، وليس للضمير ما يعود عليه إلا " ما " وإذا كانت كذلك تبين أنها ليست بمصدرية ؛ لأن

(١) الإحكام ١٩٣/٢ .

(٢) المرجع نفسه ٣٤/٣ .

(٣) شرح الجمل ١٧٤/١ .

المصدرية حرف<sup>(١)</sup> ، والضمير إنما يعود على الاسم فالجواب : إن الضمير يعود على اسم الله تعالى وإن لم يتقدم ذكره لأنه قد علم أن طاحي الأرض ، وباني السماء ، ومسوي الأرض ، إنما هو الله ، فيكون من قبيل الضمير الذي يفسره ما يفهم من سياق الكلام"<sup>(٢)</sup>.

أرأيت هذا التكلف والمبالغة في التأويل!؟

فإذا كان الضمير يعود على اسم الله تعالى فلماذا لا تكون " ما " بمعنى " مَنْ " وتطلق على العالم وإن لم تكن أصلاً فيه!؟

أضف إلى ذلك أنه بالمقارنة بين اللغات السامية اتضح أن كلاً من " مَنْ " و " ما " يعودان إلى أصل أحادي الحرف ، هو الميم ، وأن الأداة " مَنْ " و " ما " كانتا تدلان على معنى واحد دون تفریق بين العالم وغيره ، ثم أخذت اللغات السامية تتوسع بأصل هاتين المادتين بنية ومعنى ، فخصت " مَنْ " بالعالم و " ما " بغير العالم ، وظلت استعمالات من مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [ النساء: الآية ٢٢ ] شواهد من آثار مرحلة ما قبل اقتسام المعنى بين هاتين الأداةين .<sup>(٣)</sup>

وابن قتيبة يشير إلى شيء من هذا بقوله : " ما " و " مَنْ " أصلهما واحد فجعلت " مَنْ " للناس و " ما " لغير الناس "<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا عند البصريين ، وذهب الأخفش وبعض الكوفيين إلى القول باسميتها ، ينظر رصف المباني ص ٣٨١ .

(٢) شرح الجمل ١/ ١٧٤ .

(٣) ينظر : بحوث في الاستشراق واللغة ص ٢٨ و ٢٩ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٣ .

## ملخص البحث :

هذا البحث يدرس مسألة إمكان إطلاق " ما " الموصولة على " العالم " ولا خلاف بين أهل اللغة في أن " ما " في أصل وضعها إنما وضعت لغير العالم في مقابل " مَنْ " التي للعالم .

ولقد تباينت آراء النحويين في هذه المسألة فمنهم من يرى أن " ما " لا تخرج عما وضعت له من الإهمام ، وإن خرجت لحي إلى التأويل ، ونسب أبو حيان هذا إلى أصحابه البصريين .

ومنهم من يرى تفسيرها بما وضعت له ، أو يحملها على معنى " مَنْ " أو على المصدرية كالفرء وأبي عبيدة ومكي وغيرهم .

ومنهم من يرى أنها لا تقع بمعنى " مَنْ " إلا في شذوذ ، وهو أبو جعفر النحاس ومنهم من بالغ في البحث عن التأويل ، وظهر هذا جلياً عند ابن جني والسهيلي والدماميني .

ومنهم من وضع معايير لاستعمالها بمعنى " مَنْ " ومن تلك المعايير إرادة الجنس ، أو الصفة ، أو اختلاط العالم بغيره ، أو إرادة أنواع من يعقل ، أو الحمل على المقابلة والمشاكلة ، أو الإهمام ومنهم : المبرد وابن السراج والفارسي وابن جني وابن مالك وابن هشام وغيرهم .

ومنهم من يستنتج من كلامه جواز وقوع " ما " على العالم قليلاً كابن مالك والرضي والبعلي ، ونسب أبو حيان هذا إلى أبي عبيدة وابن درستويه ومكي وابن خروف .

وابن خروف نسب القول بهذا إلى سيبويه والمحققين .

ومع تباين الآراء يميل الباحث إلى رأي ابن مالك ومن وافقه ، فهو الرأي

الوسط الذي لم يخرج " ما " عن أصل وضعها ولم يبالغ في التأويلات .

## قائمة المراجع :

- ١- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تحقيق : أحد الأفاضل ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة ١٣٨٧هـ .
- ٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق د: مصطفى النماس (ط - ١) ١٤٠٨هـ - مطبعة المدني .
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، تحقيق : عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .
- ٤- أسباب النزول للواحدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ط - ١) ، ١٤٠٢هـ .
- ٥- الأصول في النحو لابن السراج ، تحقيق د: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، (ط - ١) ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- ٦- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق د: زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني بغداد ، ١٣٩٧هـ - مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي
- ٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل ، (ط - ٥) ، ١٣٩٩هـ .
- ٨- بحوث في الاستشراق واللغة تأليف أ.د: إسماعيل أحمد عمارة دار البشير ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (ط - ١) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٩- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، عناية : السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ، (ط - ٣) ، ١٤٠١هـ .
- ١٠- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان ، تحقيق د: حسن هندراوي ، دار القلم ، دمشق ، (ط - ١) ، ١٤٢٢هـ .
- ١١- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، تحقيق : محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، مصر ، ١٣٨٧هـ .

- ١٢- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدمايني ، تحقيق د: محمد المفدى ( ط -  
 (١) ، ١٤٠٣هـ .
- ١٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ( ط - ٤ ) ، دار الأندلس بيروت ،  
 لبنان ، ١٩٨٣م .
- ١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، تحقيق د: عبد الله التركي  
 بالتعاون مع دار المحرر ( ط - ١ ) ١٤٢٢هـ .
- ١٥- الجمل في النحو للزجاجي ، تحقيق د: علي توفيق الحمد ، ( ط - ١ )  
 مؤسسة الرسالة - بيروت ، دار الأمل الأردن ، ١٤٠٤هـ .
- ١٦- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار الكتب العلمية .
- ١٧- الخاطريات لابن جني ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب  
 الإسلامي ، ( ط - ١ ) ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ .
- ١٨- دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف : محمد عبد الخالق عزيمة ( ط -  
 (١) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٩٢هـ .
- ١٩- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ، تحقيق د: أحمد محمد  
 الخراط ، دار القلم دمشق ، ( ط - ١ ) ، ١٤١٠هـ .
- ٢٠- سر صناعة الإعراب لابن جني ، دراسة وتحقيق د: حسن هندراوي ، دار  
 القلم ، دمشق ( ط - ١ ) ١٤٠٥هـ .
- ٢١- سنن أبي داود ، عناية : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ،  
 الناشر : دار إحياء السنة النبوية .
- ٢٢- شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د: عبد الرحمن السيد و د: محمد  
 المختون ، هجر للطباعة والنشر ، ( ط - ١ ) ، ١٤١٠هـ .
- ٢٣- شرح جمل الزجاجي لابن خروف ، تحقيق د: سلوى محمد عمر عرب  
 جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ .

- ٢٤- شرح الجمل لابن عصفور ، تحقيق د: صاحب أبو جناح ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٥- شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق د: عبد المنعم هريدي ، ( ط - ١ )  
دار المأمون للتراث ، من منشورات مركز البحث العلمي - جامعة أم القرى  
١٤٠٢ هـ .
- ٢٦- شرح انكافية للرضي ، عناية : يوسف حسن عمر .
- ٢٧- شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- ٢٨- صحيح مسلم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،  
بيروت ، لبنان ( ط - ١ ) ١٤٢١ هـ .
- ٢٩- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر تأليف محمد بن أبي الفتح البعلبي ، تحقيق د:  
مدوح محمد خسارة ، ( ط - ١ ) الكويت ، ١٤٢٣ هـ .
- ٣٠- فتح القدير للشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ .
- ٣١- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، بهامش الكشاف  
للزمخشري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ( ط - ٣ ) ١٤٠٧ هـ .
- ٣٢- الكتاب لسبويه ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ( ط - ١ ) ، ١٣١٦ هـ .
- ٣٣- الكشاف للزمخشري ، عناية : مصطفى حسين أحمد ، الناشر : دار  
الريان للتراث ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ( ط - ٣ ) ،  
١٤٠٧ هـ .
- ٣٤- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- ٣٥- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، عناية د: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي  
- مصر .
- ٣٦- مجمع الأمثال للميداني ، عناية : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار  
القلم بيروت .

- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
١٤٠٨هـ .
- ٣٨- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ،  
تحقيق: علي النجدي ناصف و د: عبدالفتاح شلبي ، دار سنكين للطباعة  
والنشر ( ط - ٢ ) ١٤٠٦هـ .
- ٣٩- المسائل المشككة " البغداديات " لأبي علي الفارسي ، تحقيق : صلاح  
الدين عبد الله السنكاوي ، مطبعة العاني ، بغداد .
- ٤٠- مسند الإمام أحمد، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ .
- ٤١- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : ياسين محمد  
السواس دار المأمون للتراث ، دمشق
- ٤٢- معالم التزويل للبغوي ، عناية : محمد النمر وزميله ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،  
( ط - ٤ ) ، ١٤١٧هـ .
- ٤٣- معاني القرآن للقراء، عالم الكتب ، بيروت ، ( ط - ٢ ) ، ١٩٨٠م .
- ٤٤- معاني القرآن للأخفش ، تحقيق د: هدى قراة ، ( ط - ١ ) ، مطبعة  
المدني، القاهرة ، ١٤١١هـ .
- ٤٥- معاني القرآن وإعراجه للزجاج ، تحقيق : عبد الجليل شلبي، ( ط - ١ ) عالم  
الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .
- ٤٦- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي عبد الحميد السلفي ، دار إحياء  
التراث العربي ، ( ط - ٢ ) .
- ٤٧- المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عظيمه، عالم الكتب بيروت .
- ٤٨- نتائج الفكر في النحو للسهيلي ، تحقيق د: محمد إبراهيم البنا ، دار  
الرياض للنشر والتوزيع .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی